الكلية	**العلوم الإسلامية**
القسم	**التفسير وعلوم القرآن**
المادة باللغة الانجليزية	**Heavenly religions**
المادة باللغة العربية	**الأديان السماوية**
المرحلة الدراسية	**الثانية**
اسم التدريسي	**رواد محمد محمود فندي**
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	**Positive and revealed religions**
عنوان المحاضرة باللغة العربية	**الديانات الوضعية والسماوية**
رقم المحاضرة	**2**
المصادر والمراجع	**تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، العراق: جامعة بغداد، د.ت.**
	تاريخ ومعرفة الأديان، علي شريعتي، بيروت: دار الأمير، 2008.
	مقدمة في تاريخ الحضارات، طه باقر، بغداد: دار الوراق، 2009.

محتوى المحاضرة

المحور الأول: الديانات الوضعية الابتدائية

الديانات الوضعية على مستوى العالم كثيرة ومتفرقة ومتشعبة، ولا سبيل لحصرها، وفي هذه المحاضرة نوجز أبرز تلك الديانات، لرصد الفكرة التي انحسرت مقابل عقيدة التوحيد، وانتقل بالناس من عبادة المحسوسات إلى عبادة الله الواحد.

أولاً: فتيشيسم، وتعني: (عبادة الأشياء)، فكلمة فتيش تعني: شيء أو أشياء مثل الأحجار والصخور، أو بعض الأشياء المباركة التي تمثل مورداً للعبادة، وتُعد هذه الديانة من أقدم الديانات الابتدائية التي قال عنها المؤرخون، وفي مقدمتهم (اسبنسر)، بأنها: منطلق لجميع الديانات التي تعبد الأشياء، والتي تتخذ من الكهوف معابد يعلقون أشيائهم بداخلها، ويشرعون بعبادته، وتقديسه، وتقبيله أو التبرك به، والأساس في هذه الديانة هو تقديس الأشياء الطبيعية.

ثانياً: أنيميسم، وتعني: (عبادة الروح)، فكلمة أنيم تعني: التحريك والهيجان، وهي نفس كلمة روح، وقد فصل تايلور في كتابه (الحضارة البدائية)، النظرية الروحية على أنها تتناول عقيدتين كبيرتين، وهما: جزآن لا ينفصلان، الأولى: تتعلق بالروح الفردية التي تتمكن من الاستمرار بعد الموت. والثانية: تتعلق بالأرواح الأخرى، بما في ذلك الآلهة العليا، وتعد هذه الديانة، أول دين في العالم، ويعتقد أصحابه بوجود الروح التي لا يمكن رؤيتها، وتمتلك خصوصيات، أولها: امتلاكها لشخصية إنسانية، فهي عارفة

وصاحبة إرادة، وتحقد وتنفر وتُحب وتعشق، وإما أن تقدم خدمة، أو تكون خائنة، وإما أن تكون مقدسة أو شريرة، وهذه هي صفات الإنسان، وهي: تمنحه حياة وعيشاً وحركة. ثانيها: بقاء الروح، كان يعتقد الإنسان الابتدائي عند موت الإنسان، فإن روحه سوف تبقى لا تموت، فإما أن ترجع إلى السماء، أو أنها تبقى تعيش في ظلماتها، أو تبقى في أعماق الغابات، أو في زوايا المدن، أو في أعماق البحار! ومن تقديسهم للروح يشددون على احترام جسد الميت، وباعتقادهم أن من ينتهك حرمته فسوف يكون في خطر من الروح، وبالعكس من يحترمه احتراماً كبيراً فإن الروح سوف تحفظهم، وتحترمهم وتكون حارساً وحامياً لهم، هذا الاعتقاد الأول. أما الاعتقاد الثاني، وهو: تناسخ الأرواح ويعني أن الروح بعد موت الجسد تبقى، وتنتقل إلى جسد آخر بحيث تعمل من جديد في ذلك البدن الذي انتقلت إليه، وبعد موت البدن الثاني، فإنها إما أن تنتقل إلى بدن آخر، أو تنتقل إلى عالم الأرواح، وهذا البدن إما أن يكون إنساناً أو حيواناً أو نباتاً، والأساس في هذه الديانة، هو: الاعتقاد بأصالة الروح.

ثالثاً: الطوطمية، وهي: كلمة مشتقة من (طوطم)، شعار لطائفة من الناس يلتفون حوله، ويحتمون به، ويعتقدون بأن رابطة قدسية تربطهم به، والطوطم إما أن يكون حيواناً أو نباتاً أو في النادر جماداً، ويتضمن اعتقادهم بأن الإنسان والحيوان والنبات، نشأ من جوهر واحد، والارتباط بين الفرد والطوطم يضمن للجانبين منافع متقابلة، فالطوطم يحمي الإنسان، والإنسان يحترم الطوطم، بأن يمتنع من قتله إذا كان حيواناً، وقطعه إذا كان نباتاً، وإذا سأل أحدهم عن سبب عبادته، يقول: نحن نرجع إليه، ويسعون إلى تقليد الحيوان الذي يعبدونه في الأفعال واللباس ونحو ذلك. تنتشر هذه الديانة بين بعض القبائل الموجودة اليوم في أفريقيا، وأمريكا الشمالية، وأستراليا الذين يعيشون عيشة البداوة، والأساس في هذه الديانة، هو: الطوطم الذي يضم الأصناف المذكورة التي يعتقدون بقداستها.

المحور الثاني: من الديانات الوضعية إلى الأديان السماوية

تظهر الديانة الابتدائية أول أمرها محدودة ببعض التصورات، ثم تتطور بعد ذلك نتيجة للممارسات الفكرية التي تصاحب الطقوس، ثم تتفرع بعد ذلك إلى فرق، ثم تتوسع إلى ما هو أبعد ما كانت عليه في السابق، لذلك يرى علماء الأديان أن الدين ينبغي أن يجاري التطور، فيبدأ بحالة بسيطة ترى آثارها لدى الأقوام الابتدائية، ثم يأخذ بالتطور نحو التكامل، حتى يبلغ مرتبة الأديان السماوية الموحدة، غير أن فكرة التطور في الأديان تعارض نظرية الوحي والإلهام التي أخبرت بها الأديان السماوية، وقد رأى بعض علماء الأديان أن البشر الأول توصل إلى فكرة (الله) بالوحي، وأكدوا أن البشر بفطرته اعتقد بوجود إله متعال (إله السماء).

وأثبت ذلك العالم الإيطالي (بتاتسوني) في كتابه القيم عن تكون التوحيد، وتطوره، وفكرة الإله المتعالي التي وجدها لدى كثير من القبائل البدائية والمتوحشة في استراليا وأمريكا وأفريقيا. أظهرت أبحاث لانج حول فكرة الإله المتعالي في قبائل استراليا وأفريقيا وبعض قبائل الهنود الأمريكيين، بأن كل إنسان يجعل في نفسه (فكرة العلية) لتكوين العقيدة بوجود آلهة صانعة خالقة للكون، وأن الأشياء من صنع الإله، وهذا الصانع رجل عظيم غير طبيعي يباين الانسان في قدرته الناقصة، وعدم قدرته على الخلق، كما وجد لدى الأهالي القدماء المتوحشين الاعتقاد بسيد خالق إلى جانب عقائدهم واساطيرهم التي تسودها الغلظة والقساوة. لقد وجد هذا الدين عند البدائيين في حالة من الطهر، والنقاء ثم اعقب ذلك عنصر آخر، هو: العنصر الأسطوري، فأخفى وراءه العنصر الجميل.

وهنا لابد من طرح السؤال الآتي: كيف استطاعت العبادات البدائية أن تسيطر على الفكر البدائي، وأن تخفي فكرة الله، وتعلن العقائد المضطربة والاساطير الموغلة في البهيمية، والغلظة، والنشاز بينما فكرة الله هي الفكرة الأصيلة في النفوس؟

الجواب: كان قد ساد أصحاب العهود البدائية في فترة من الزمن فكرة أن الإله الخالق ليس بحاجة إلى العطايا والمنح، وأنه ينهى عن الشهوات والعداوات، ويمنع الناس عن الظلم، ولا يمد يد العون لأتباعه في الحروب، ولا يعطيه القوة في مواجهة الأمراض المهلكة، وكثيراً ما يضحي الإنسان من أجل الإله لكي يحقق له مبتغاه، ومن هنا بدأ ذلك الإنسان يفقد الثقة بالإله، فيندفع في بعض الأحيان إلى إجراء عبادات يتوسل بها موجودات خفية، كالأشباح، والأرواح لتحقيق مطالبه، وقد نشأ عن ذلك ظهور للعقائد المضطربة في مستوى اعلى من فكرة الله، فأهمل فكرته الصافية عن خالقه، والتحق بتلك العبادات لإشباع غاياته، وأمر آخر، وهو أن ذلك الإنسان قد اعتبر الله أحد القوى الكبرى، بجانب القوى الأخرى الأسطورية، ونسب له الكثير من صفات تلك القوى، وقطع الإنسان بعد تلك العقيدة شوطاً طويلاً ظهر بعده الكثير من الفنون، والمهن، وأصبح لكل مهنة وفن إله، ويرى لانج أن المسيحية والإسلام، جاءا بعد ذلك، فظهر التوحيد في أجلى صورته خالياً من شوائب العنصر الأسطوري الذي شوه جمال الأول.

إذن تصور إله السماء فكرة بدأت مع وجود الإنسان على الأرض، وهي أقدم فكرة في أذهان البشر، أما ظهور عبادة الأرواح، والطبيعة فكانت نتيجة لفقدان ذلك الإنسان الثقة حسب تصوره، وتأثره بمغريات البيئة.